المركز الجامعي ميلة

دروس خاصة بمقياس: التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية:

السنة الثالثة ليسانس.

إعداد الأستاذ : عبدالهادي حمرالعين

أولا: مقدمة عن إعجاز القران:

يظهر ذلك في قوله تعالى (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا). السورة ورقم الآية : الإسراء (88)، وقوله تعالى أيضا: وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (البقرة 23)

ثانيا: فضل قراءة القرآن وأجر حامله:

لا تتحقق سعادة المؤمن إلا بقراءة ما تيسّر من كتاب الله عزّ وجلّ، فقراءته، وتدبّره، والعمل بما جاء فيه؛ هي غايات ساميات يسعى لبلوغها كل مؤمن حق، **قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن، ويتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران)** "رواه مسلم"، وثبت في البخاري **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مثلُ الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران).**

وصح في سنن الترمذي **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب).** كما أعلا المولى من قدر حامل كتاب الله في الدنيا والآخر، إذ يرتقي حامله يوم القيامة ويعلو شأنه، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - **أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيامُ: أي رب أنا منعته الطعام والشهوات بالنهار، ويقول القرآن: أنا منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان».**

وعن معفس بن حطان قال: «دخلت مع أبي على امّ الدرداء- رضي الله عنه - يسألها أبي: ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأ؟ قالت: حدّثتني عائشة – رضي الله عنها - **قالت: جعلت درجُ الجنة على عدد آي القرآن، فمن قرأ ثلث القرآن ثم دخل الجنة، كان على الثلث من درجها، ومن قرأ نصف القرآن كان على**

النصف، ومن قرأه كلّه كان في عليين، لم يكن فوقه إلا نبيٌّ أو صديق أو شهيد» (الشورى:13).

ثالثا: أسباب اختلاف اللغويين والمفسرين في تفسير القرآن الكريم:

أولا: ذهب السيوطي جلال الدين والقاضي شمس الدين الخوي إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين لأصحابه من معاني القرآن إلا القليل منه، إذ بين لهم فقط ما تدعو إليه الحاجة.

ثانيا: ما ذهب إليه –شيخ الإسلام- ابن تيمية إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه كل معاني القرآن، جملة وتفصيلا، فلم يترك بابا إلا وضّحه وبيّنه، وقدّم حججا في ذلك من العقل والنقل والواقع.

حجج الفريقين:

1- أن الله تعالى قال:(**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)** (النحل: 44)، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود-رضي الله عنهما- أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، فقالوا: تعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا.

وقد روى ابن ماجة والإمام أحمد عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- أنه قال: إنّ آخر ما نزل آية الربا، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبض ولم يفسرها لنا، فذهب ابن تيمية إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فسر لصحابته كل القرآن إلا هذه لأنه قبض.

2 - إنّ عقل الكلام متضمن بفهمه، وتدبره، ومن المعلوم أن المقصود بكل كلام هو فهم معانيه دون مجرد الاكتفاء بألفاظه وحسب، والقرآن كلام الله أولى بذلك.

رابعا: - أنواع التفسير:

أولا: تفسير القرآن بالقرآن:

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة قولا أو فعلا أو تقريرا.

ثالثا: الاجتهاد والاستنباط معتمدين على الفصيح من كلام العرب.

خامسا: القراءات القرآنية؛ مفهوومها وأسباب نشأتها:

القراءات: لغة: جمع قراءة، وهي مصدر للفعل قرأ، يقال: قرأ فلان، يقرأ، قراءة، والقراءة: تعني الضم والجمع، يقال: ما قرأت الناقة جنينا أي: لم تضم رحمها على ولد، قال أبو عبيدة: «سمي القرآن كذلك؛ لأنه يضم ويجمع السور»، لقوله تعالى: **(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)** (القيامة: 17).

أما **في اصطلاح** علماء القراءات فهي: علم يهتم بكيفية آداء كلمات القرآن، واختلافها منسوبة إلى ناقليها.

إذن: فالقراءات هي تلك الوجوه اللغوية الصوتية التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيرا وتخفيفا على عباده.

سادسا: نشأة علم القراءات:

مذ تلقي النبي صلى الله عليه وسلم القرآن من لدن عليم حكيم، كان يقرأ ما أنزل عليه لأصحابه، فيلتزمون تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم دون أدنى إضافة أو إنقاص، ولما دعت الحاجة بعد أن أقبلت القبائل العربية على الإسلام وأصبحت تدخل في دين الله أفواجا، دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه أن يزيده من حروفه، أي: من قراءاته تماشيا واختلاف لهجات القبائل صوتيا وصرفيا، فتكرم المولى بأنّ وافق نبيه، وزاده من القراءات حتى وصلت سبعة، كما في الحديث عن أبي بن كعب-رضي الله عنه- قال: **رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ جبريل وميكائيل-عليهما السلام- أتياني فقعد جبريل عن يميني، وميكائيل عن يساري، فقال جبريل عليه السلام: اقرأ القرآن على حرف، قال ميكائيل: استزده، استزده، حتى بلغ سبعة أحرف فكلٌّ شاف كاف).**

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن **النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف).**

وروى ابن مسعود أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أُنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن، ونهى أن يستلقي الرجل-أحسبه قال في المسجد- ويضع وضع إحدى رجليه على الأخرى).**

سابعا: معنى الحرف في اللغة:

الحرف: الحرف في كل شيء طرفه، وشفيره، وحدّه، وجمعه: أحرف وله استعمالات كثيرة، وأنواع كثيرة.

معنى الحرف في اصطلاح اللغويين: له عدة تعريفات نحددها كالآتي:

1.يطلق على لغات البشر؛ فنقول: لغة قريش أو حرف قريش، ولغة ثقيف أو حرف ثقيف.

ثامثا: الفرق بين القرآن والقراءة القرآنية:

يقول الزركشي: «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان؛ فالقرآن هو الوحي المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات: هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها؛ من تخفيف وتشديد وغيرهما، ولابدّ فيهما من التلقي والمشافهة، لأنّ القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة»، وقد ذهب بعض الشيوخ من أهل اللغة إلى ما ذهب إليه الزركشي، نذكر منهم: القسطلاني في مؤلفه: لطائف الإشارات، والشيخ أحمد بن محمد الدمياطي، صاحب: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر.

تاسعا: بين اللغة واللهجة: في الاصطلاح العلمي الحديث اللهجة: مجموعة الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك أفرادها في هذا الصفات جميعا. ويرى محمد شفيع الدين: أن اللهجة - في العلوم الحديثة - هي مجموعة من الخصائص اللغوية، التي يتحدّث بها عدد من الأفراد في بيئة معينة، وتكون تلك الخصائص في مختلف المستويات: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية وتميزها عن بقية اللهجات في اللغة الواحدة، وقد تستقل اللهجة عبر الزمن، فتصبح لغة قائمة بذاتها؛ كما حدث مع اللاتينية التي تفرعت منها: الإيطالية، والفرنسية، والإسبانية. وكما حدث مع السامية الأم التي تفرعت عنها العربية والعبرية والآرامية وغيرها.

ويقدم **ابن جني** تعريفا مقتضبا يعرف اللغة تعريفا دقيقا مختصرا فيقول: «اللغة أصوات يعبُر بها كل قوم عن أغراضهم»، أما السيوطي فيقول: «اللغة مجموعة من اللهجات تنتمي إلى بيئة معينة»، وقيل هي نظام من الرموز الصوتية الاعتباطية، يتم بواسطتها التعارف بين أفراد المجتمع، وتخضع هذه الأصوات للوصف من حيث؛ الخارج والحركات التي يقوم بها جهاز النطق، ومن حيث؛ الصفات، والظواهر الصوتية المصاحبة لهذه الظواهر النطقية.

عاشرا: شروط القراءة المقبولة:

ثمة ضوابط لابد من وجودها حتى تعتبر القراءة مقبولة، وإذا كانت كذلك، صحّت تلاوتها والصلاة بها وإلا اعتبرت شاذة، ولا يعتد بها ولا يصلى بها، ولا نتلوها حتى، وأهم هذه الشروط:

1.أن ينقلها الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا تؤخذ القراءة من غير الثقات.

2.أن يكون لها وجه شائع في العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وأخذ بهذا الشرط مكي بن أبي طالب القيسي.

3.أن تكون موافقة لخط المصحف.

حادي عشر: أشهر أعلام القراءات:

الأول: نافع: هو نافع عبد الرحمن بن أبي نعيم، يكنى بأبي رويم، ولد سنة 70هـ، ثقة من الثقات، روى عنه مالك وقالون بالمدينة، وتوفي بها سنة (169هـ).

الثاني: ابن كثير: هو عبد الله أبو معبد بن كثير بن عمر، ولد بمكة سنة (45هـ)، وهو إمام أهل مكة في القراءة، روى عنه عبد الله بن الزبير بن العوام، وأبو أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، توفي سنة (120هـ).

الثالث: أبو عمرو بن العلاء: وهو أبو عمرو زيان بن العلاء بن عمّار بن العريان التميمي البصري، ولد سنة (68هـ) إمام العربية والقراءة، وهو من القراء السبعة، روى عنه الأصمعي، وابن عمرو، وسيبويه، توفي بالكوفة سنة (154هـ).

الرابع: أبو عبد الله بن عامر: هو أبو عبد الله بن عامر الدمشقي، ولد سنة (08هـ) وقيل سنة (21هـ) وهو من التابعين، وهو إمام أهل الشام، أخذ القراءة عن أبي الدرداء –رضي الله عنه- وجماعة من الصحابة، وتولى قضاء دمشق، وتوفي بها في عاشوراء سنة (118هـ).

الخامس: عاصم: هو عاصم بن أبي النجود، من كبار التابعين، ولد سنة لم تعرف، ويدعى ابن بهدلة، ويكنى بأبي بكر، توفي بالكوفة سنة (128هـ) سنة (127هـ).

السادس: حمزة: وهو حمزة بن حبيب الزيات أبو عمارة الكوفي، ولد سنة (80هـ)، حبرُ القرآن، وإمام الناس بعد عاصم والأعمش، وهو احد القراء السبعة، مذهبه مذهب حمران، الذي يقرأ بقراءة ابن مسعود، وتوفي بإيران سنة (156هـ).

السابع: الكسائي: هو أبو حسن علي بن حمزة، ولد سنة (119-) من أصل فارسي، وولاؤه أسدي، أخذ القراءة عن حمزة الزيات، والنحو عن الخليل، وتوفي في طريقه إلى خراسان سنة (189هـ).

ثاني عشر: مفهوم الاحتجاج للقراءة:

الاحتجاج لغة: مصدر؛ احتجّ، أي: قدم حجةّ، والحجة هي الدليل والبرهان.

قال الأزهري: «الحجة: الوجه الذي يكون فيه الظفر عند الخصومة،... فيقال حجاجته، أُحاجُّه، حجاجا، ومحاجّةً، حتى حججتُه، أي: غلبتُه بالحجج التي أدليتُ بها»، وقال **الكفوي** اللغوي: «هو ما ثبتَ به الدعوى من حيث؛ إفادته بالبيان، يُسمى بينه، ومن حيث الغلبة به الخصم يسمى حجة».

من هنا نستخلص أنّ الاحتجاج في اللغة يقصد بها البيان والدليل المقنع الذي تواجه به الخصم فتغلبه.

الاحتجاج للقراءات: يُراد به بيان صحة القراءة، من جهة العربية، لا بيان صحتها من جهة السند والرواية، وقد عبروا عنه بتوجيه القراءات وتبيينها، أي بيان وجه اختيار القراءة من بين القراءات الصحيح المتواترة.

ويشير **ابن قتيبة** إلى أن الاحتجاج في القراءات هو تخريج ما جاء في القرآن، وبيان وجهه في كلام العرب، وقد يكون بيان طريقة أداء أو تصريف كلمة، أو إعراب، أو بيان معنى، ويكون ذلك خاصة حينما يردُ في الآية الواحدة قراءتان مختلفتان في النطق، ويكون لكل واحدة منهما معنى يخالف معنى القراءة الأخرى، ويسمى ذلك أيضا اختلاف التغاير.

ومن هنا يتضح لنا جليا أن الاحتجاج في القراءات القرآنية؛ ليس معناه إثبات قراءة، أو البحث في سندها وتواترها أو شذوذها، وإنما الاحتجاج هو الكشف والتخريج، وتقديم الوجه الإعرابي المقنع من قبل النحوي البارع حتى يستطيع أن يتغلب على منافسه من الموجهين للقراءات، وغلبته تكون بالحجة والدليل الذي نطمئن إليه اطمئنانا كليا لا يجاوزه شك.

أمثلة عن التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات القرآنية:

أولا: قراءة قوله تعالى: **(قالَ مُوسى ما جئتم به السحر)**(يونس:81).

اختلف النحويين في إعراب "السحر" على الأوجه التالية:

1.قرئت بالرفع على اعتبار أنّ "ما" موصولة مبتدأ وخبرها "السحر".

2.وقرئت "آ السحر" بزيادة همزة الاستفهام.

3.وقرئت "ما جئتم به سحرٌ" نكرة مرفوعة على أنها خبر لـ"ما".

ثانـــيا: أ.قوله تعالى: **(إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)**(طه:63)،

وُجهت هذه القراءة على تخريجين هما:

1.بالنصب لـ"هذين" باعتبار أنّ "إنْ" مخفّفة من إنّ وتعمل عملها و"هذين" بالياء، اسمها منصوب وساحران خبرها مرفوع.

2.بالرفع لـ"هذان" وهي القراءة التي أحدثت حيرة عند النحاة فرأى بعضهم أنّ "إِنْ" بمعنى "نعم" أي: نعم هذان ساحران.

ثالثـــا: ب.اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: (**وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا...**) (البقرة: 259) قال الأزهري أبو منصور: «من قرأ "ننشزها" بالزاي، فالمعنى: نجعلها بعد بلاها وهمودها ناشزة، تنشزُ بعضها بعضا، أي: ترتفع، فهي مأخوذة من نشرَ، والنشزُ: ما ارتفع من الأرض».

ومن قرأ "ننشرها" بالراء، فمعناه: نحييها بعد موتها، يقال: أنشرَ الله الموتى إذا أحياهم، فهي مأخوذة من النشر بعد الطيّ.

رابـــعا: قراءة قوله تعالى: (**فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**) (البقرة: 184) اختلف القراء والنحويون في باب التنوين والإضافة والإفراد والجمع، فقرأ ابن كثير وعاصم وابو عمرو وحمزة والكسائي بتنوين "فديةٌ"، مع إفراد "مسكين" فالإطعام واجب لمسكين واحد، وقرأ نافع «فديةُ طعامِ مساكين»، دون تنوين مع جمع "مساكين، فتصبح الكفارة بذلك لمساكين وليسن لمسكين واحدٍ، ويرجع هنا مكي قراءة الغالبية ويجعلها اختيارا، وكذلك لموافقتها رسم المصحف أيضا، فاختار بذلك الغالبة بالإضافة إلى المعنى.

خامســا: اختلاف المفسرين في لفظة "نجم" في قوله تعالى: (**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**)(الرحمن:06)، فمنهم من رأى أنّ النجم: هو ما نبت على وجه الأرض مما ليس له ساق؛ وهو قول ابن عباس وابن جبير، والسدي، والكلبي وسفيان الثوري من المفسرين. أما اللغويون فيُروي الأزهري عنهم أنه النجم عندهم أيضا هو ما نبث على الأرض مما ليس فيه ساق، ويمثلهم الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة والمبرد والجوهري، والقول الثاني: يرى أن النجم: نجم السماء؛ وقال بذلك: مجاهد والحسن البصري وقتادة من المفسرين، واللغويون بعضهم يرى ذلك ويمثلهم الزجاج في قوله: «وقد قيل إنّ النجم يراد به النجوم، وهذا جائز أن يكون، لأنّ الله قد أعلمنا أنّ النجم في السماء ليسجد، لقوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ**) (الحج: 18). فذكر لفظة النجم مع الشمس والقمر الموجودتان في السماء». وهنا وجب على المفسر واللغوي أن يراعي سياق المعنى حتى يربطه، بالمقصود في الآية، وإلا تشعبت السبل وتقطعت الأسباب.

سادســا: اختلاف المفسرين واللغويين في لفظ "الريحان" في قوله تعالى: (**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ**)(الرحمن: 12).

على أقوال منها: من رأى أن الريحان بمعنى: الرزق، وقال بذلك ابن عباس ومجاهد والضحاك، ومن اللغويين من رأى ذلك أيضا، نذكر منهم: الفراء، وابو عبيدة، وابن قتيبة الذي يرى أن الريحان: رزق يصيبه العبد من ربه.

وهناك قول يرى بأن الريحان: نبتٌ يُشَمُّ، وقال به: ابن عباس، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن زيد، وقال به من اللغويين الأزهري في قوله: «...والريحان: نبتٌ يشم، وريحه طيب».

سابـــعا: اختلف المفسرون واللغويون في معنى "تتلو" من قوله تعالى: **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ)** (البقرة: 102) على قولين: الأول يرى أن "تتلوا" بمعنى: تقرأ، وقال بذلك: ابن عباس، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وقتادة، ومن اللغويين: أبو عبيدة وابن قتيبة الذي يقول: «تتلوا، تقرأ والتلاوة القراءة»، والقول الثاني في أن "تتلو" بمعنى تتبع من الاتباع، وممن قال بهذا القول من المفسرين أبو رزين الأسدي، ولم أجد من اللغويين من قال به، ويبدو لي أن كلا المعنيين مقبولٌ، ولكن الإشكال المطروح هنا: أي المعنيين نأخذ به ونعتمدهُ؟ يقول ابن جرير الطبري: «ويقول القائل: هو يتلو في كلام لعرب، له معنيان: أحدهما: التباع، فيُقال: تلوتُ فلانا؛ إذا مشيتُ خلفه وتبعت أثرهُ، والثاني: القراءة والدراسة، تقول: فلان يتلو القرآن، بمعنى يقرؤه ويدرسه».

.اختلف المفسرون واللغويون في لفظ عسعس في قوله تعالى: (**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ)** (التكوير:17) على قولين: **أحدهما:** أن عسعس بمعنى: أدبَر، وقال به من المفسرين علي بن طالب، وابن عباس، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ومعنى أدبر الليل أي انجلى، وهذا ما يراه الفراء من اللغويين، ويجزم أن المفسرين أجمعوا على ذلك، **وأما الثاني؛** فيرى أن عسعس بمعنى: أقبل أي حلّ، وقال بذلك من المفسرين: مجاهد، والحسن البصري، وعطية العوفي. وقال بذلك لغويون كثرٌ نذكر منهم: أبا عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج، وابن عزير، وابن السكيت، وأبي حاتم، وابن الانباري في أضداده حين يرى أن الليل عسعس إذا أقبل وحلّ وليس غير ذلك، وابن قتيبة الذي يرى أنّ الليل إقباله، ورأى بهذا القول بعض أصحاب المعاجم كابن دريد، والأزهري، وابن فارس وغيرهم.

سابعـــأ: اختلاف المفسرين في لفظة "سُجرت" من قوله تعالى: (**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ)** (التكوير:06)، على قولين متضادين؛ أولهما: أن "سُجّرت" لمعنى: مُلِئت؛ ويرى بهذا القول من المفسرين: الربيع بن خُثيم، والضحاك، ومحمد بن السائب الكلبي، ورأى من أهل اللغة بهذا الرأي: الفراء، وثعلبة وابن قتيبة الذي يرى أن البحار سُجرَت إذا فاضت ومُلئت، وثانيهما: يرى أن **"سُجرت"** بمعنى: جفت

ويبُست، وقال بذلك: الحسنُ البصري وقتادة من المفسرين، ورأى بذلك بعض اللغويين كابن السكيت، وأبي حاتم، وابن الانباري، والأزهري الذي يقول: «سُجّرت البحارُ: إذا خفت وذهب ماؤها»، وبهذا نفهم أن مادة "سجر" لها معنيان متضادان في لغة العرب.

- انتهى-